

الفصل الخامس

دولة تيمورلنك في آسيا الوسطى

أوضاع ما وراء النهر وقت ظهور الأمير تيمور

فى تقسيم البلاد التى استولى عليها جنكيز، صارت بلاد القراخانيين السابقة وما وراء النهر نصيب ابنه جغتاي، ولم يعص جغتاي اوكتاي وقت خانيته للمغول رغم أنه الأكبر سنابل كان يصدق على خانيه اوكتاي عليه وعلى بلاده وكان يدير بلاده بعون من واحد رؤساء قبيلة البرلاس وهو قراجار نويان ويصل مؤرخو تيمور نسب هذا الفاتح إلى الأمير قراجار نويان البلاسى من ناحية الأب ويعتبرون قراجار الجد الخامس لتيمور.

حكم أولاد جغتاي الذين تسمى بالخانات الجغتائيين أو حكام البلاد (اولوس) الجغتائية مدة سنة وثلاثين ومائة عام (من ٦٢٤ حتى ٧٦٠هـ/م) على بلاد ما وراء النهر وقسم من خوارزم وكاشغر وكانت عدتهم نحو الثلاثين وكان من بينهم خانات من أولاد اوكتاي تصادف حكمهم للبلاد الجغتائية وليس لهم ذكر خاص فى تاريخ إيران اللهم إلا بضعة نفر منهم هاجموا إيران فى أيام الايلخانات عن طريق الدربند أو خراسان مثل براق أول خان للبلاد الجغتائية أثر الإسلام دينا لكن رعاياه لم تحبذ عمله هذا فعادت أكثريتهم لديانتها بعد موته.

ودخل الإسلام أحد خلفاء براق وهو (ترمشيرين) (٧٢٢ - ٧٢٧هـ/م) أكثر الرعايا الجغتائية الإسلام، وأصبح الإسلام من هذا الوقت الدين الرسمى لخانات ما وراء النهر ومغولها.

وفى أوائل النصف الأول للقرن الثامن أصاب خانات الجغتائيين الوهن والضعف وتحكم منهم أحد رؤساء قبيلة البرلاس واسمه الأمير قزغن وكان الأمير (قزغن) هذا يولى ويعزل من يشاء من خانات الجغتائيين وكان لابنه الأمير عبد الله من بعده نفس النفوذ والمنصب إلى أن تمكن من قتل الأمير (حاجى برلاس) من أحفاد (قراجار نويان) والأمير (بيان سلدوز) يعاونه الخان تحت حمايته واستحوذا

على الأمر لكنهما لم يستطيعا إدارة الأمور كما ينبغي فصارت ما وراء النهر رهن الهرج والمرج وثارَت الثورات والقلال.

وقد حرص وصول أبناء ثورات ما وراء النهر إلى كاشغر حيث كانت شعبه أخرى من خانات البلاد الجغتائية تباشر أمور الحكم (تعلق تيمور) حاكمها وكان من أحفاده (براق خان) على غزو ما وراء النهر وهاجمها تغلق تيمور أحدهما في عام (٧٦١هـ/م) والأخرى في (٧٦٣هـ/م) وقتل في المرة الثانية الأمير بيان سلدوز وسيطر على بلاد ما وراء النهر وأتاب ابنه الياس خواجه في إدارة أمورها، فظل يحكمها حتى (٧٦٥هـ/م) حين طرده عنها (تيمور الكوركاني) والأمير حسين حفيد الأمير قزغن.

أصل تيمور ونسبه:

تيمور ولد الأمير ترغاي أوكوغاي، وهي كلمة تركية بمعنى طير، أما تيمور فهي من تمر أو دمر التركية بمعنى الحديد وأصل المؤرخون نسبة إلى أسرة جنكيز وصحة هذا الادعاء غير معلومة حتى أن هناك شكاً في أن الأمير (قراجار نويان البلاسي) جده الخامس. ولد تيمور في شعبان (٧٣٦هـ/م) اشهر في إحدى قرى مدينة كش (مدينة سبز) الحالية جنوب سمرقند على مفترق الطرق بين هذه المدينة وبلغ وعاش أيام صباه بين قبيلة البرلاس التي كانت أقرباء لأجداده وأتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية وبين أفرادها وهي عملهم الرئيسي من رسوم الصيد والفروسية ورمى السهام حتى غدا فارساً ماهراً للسهام بطلاً، وكان على الهمة طموحاً فلم يقنع بذلك وخطا في طريق العلو والرياسة.

ذكر أن جد الأمير تيمور كان يظهر كامل إخلاصه للصالحين والفقراء وظل هذا الميل لهذه الطائفة فيه وفي أسرته فكان من أول أمره يبدي الإخلاص للزهاد ومشايخ التصوف وكان يأتيهم ويطلب منهم المدد.

وحياة الأمير الأولى غير معروفة على وجه الدقة، وما يقرب إلى اليقين أنه لم يحدث في هذه الفترة المبكرة من حياته شيء ذو بال لأنه كان ذا ذاك مغموراً ويحيا حياة أفراد قبيلته العادية لكي يهتم بإثباتها مؤرخ، وإنما بدأت أحداثه التاريخية في الذكر عام (٧٦١هـ/م).

ففى عام (٧٦٢هـ/م) حينما قام تغلق خان الأول مرة بغزو ما وراء النهر كان الأمير تيمور فى خدمة الأمير حاجى برلاس فلما هرب الأمير حاجى أمام تغلق إلى خراسان كان تيمور برفقته أيضاً وبعد مدة وجيزة آب تيمور إلى ما وراء النهر ولحق بخدمة تغلق تيمورخان، وترك خان الكاشغر حكم مدينة كش التى كان رؤساء البرلاس يتوارثونه إلى تيمور وحينما عاد تغلق تيمور إلى كاشغر استقل بحكمه وبعد قليل بسط سلطانه على أغلب بلاد ما وراء النهر.

وفى هذه الأيام استعان الأمير حسين القرغنى بجماعة من أمراء ما وراء النهر الأقوياء فهزم الأمير (بيان سلدوز) وكان ينقم عليه قتله عمه الذى أصابه الحزن فانهزم بيان إلى بدخشان فاختارت هذه الجماعة من الأمراء الأمير حسينا لإمارة ما وراء النهر ونصب كل منهم على حكم ناحية منها تحت إمرته واستقر من ضمنهم الأمير على حكم كش مقر أجداده وفى هذا الحين زوج الأمير أخته بتيمور مؤثره لمصاهرته فسمى تيمور كوركمان أى تيمور الصهر.

وبما أن أوضاع ما وراء النهر أقترنت بعدم الأمن وكان الأمراء المتمردون دائمي الخلافات أحدهم مع الآخر غزا (تغلق تيمورخان) هذه البلاد مرة أخرى فى (٧٦٣هـ/م) وقتل الأمير بيان وجعل الأمير حسين يفر وترك حكم ما وراء النهر إلى ابنه إلياس خواجه وبقي تيمور على حال حكمه لكش.

وبعد فترة تحالف الأمير تيمور حسين المتوارى بقصد الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر متعللاً بمظالم التابعين لإلياس خواجه وهاجم خوارزم لكنه غلب على أمره فركن إلى الفرار إلى خراسان وبعد أن أسره التركمان ساكنوا ابيورد وعودته إلى سمرقند وحياته متخفياً بها عاد أخيراً إلى خراسان وانضم معه الأمير حسين إلى خدمة الملك معز الدين حسين كرت.

ولما طلب تغلق تيمور إلى معز الدين كرت تسليمه هذين الأميرين هربا إلى قندهار زمناً ومنها إلى سيستان فاحتال واليها وهاجمهما وأثناء قتالهما أصيب تيمور بعدة طعنات منا فى عقب قدمه وكتفه اليمنى وفقد الإصبعين الآخرين من كفه الأيمن وأصيبت قدمه اليمنى بضربة ألم ترجعها بعد ذلك إلى حالتها الطبيعية فكان يمشى طوال عمره عارجاً فسمى لذلك بتيمور الأعرج (لنك).

وبعد أن التأمّت جراح تيمور أخذ هذا الأمير وحسين القزغنى بعد أن جمعا الجنود والأتباع بلاد ترمذ وبلخ وبدخشان وكش من أيدي عمال إلياس خواجه، وتقوى قلباهما بعد أن تناهت إليهما أنباء موت تغلق تيمور وعزم إلياس خواجه ابنه على العودة إلى كاشغر فهاجما الأخير وهزمه وسيطر على ما وراء النهر. ومع أن إلياس انتقم منهما لهذه الهزيمة فى (٧٦٥هـ/م) واجبروهما على الفرار إلى بلخ إلا أنهما عادا فى (٧٦٦هـ/م) فاستوليا على ما وراء النهر وقطعت يد الأتراك الجغتائيين تماماً عن هذه البلاد.

وبعد الاستيلاء الأخير على ما وراء النهر وقع الخلاف بين الأمير حسين وتيمور ووافى زوجة تيمور وأخت الأمير حسين فى ذياك التاريخ أجلها فأبنت قرابة النسب بينهما فأعلن تيمور مناهضته لحسين وجرد جنده يهاجمه فخانه بعضهم مما أجبره على الفرار إلى ابورد وظل الصراع بين الأميرين قائماً حتى (٧٦٩هـ/م) إلى أطمأن بعض علماء طشقند وخجندة للأمير فاصطلحا. ولم يدم هذا الصلح إذ بدأ أحدهما يسيء الظن بالآخر حتى سلم الأمير حسين تماماً إلى تيمور فتخلّى عن الرئاسة والقيادة بشرط الإبقاء على حياته فتظاهر تيمور بتأمينه وانفض أمراؤه فى أطراف بلخ فى أوائل رمضان من ذلك العام على حسين ولديه فأهلكوهم وصارت ما وراء النهر تحت سيطرة تيمور بلا منازع. ودخل تيمور فى الثانى عشر من رمضان سمرقند (٧٧١هـ/م) وكون مجلس شورى من الأمراء والكبار والعلماء، ومع أنه لم يلقب بالسلطان ولقب أحد أمراء البلاد الجغتائية وهو (سيور غتمش) بالسلطان لكن رمضان (٧٧١هـ/م) يعد بداية استقلال الأمير تيمور.

غزو خوارزم (٧٧٣هـ - ٧٨١هـ/م):

كانت خوارزم فى تقسيم البلاد الجنكيزية نصيب جوجى وخلفه عليها أولاده واستولى الحكام الجغتائيون عليها بعد ذلك وضموها إلى أملاكهم.

ووقت استقلال تيمور وجلوس سيور غتمش خان استولى من يسمى حسين الصوفى من قبيلة القنفرات على خوارزم. فأرسل تيمور له ليترك هذا البلد التابع لديوان الحكام الجغتائيين إلى وارثهم سيور غتمش فلم يقبل الصوفى فاضطر إلى مهاجمة خوارزم.

وغزا تيمور خوارزم أربع مرات بين عامي (٧٧٣هـ) و(٧٨١هـ) وغلب في الأولى حسين على أمره ومات حسرة فترك تيمور حكماً إلى ابن حسين فعصى الابن بعد مدة وقدم إليه وادخله طاعته. والمرة الثالثة وقعت (٧٧٧هـ) والرابعة (٧٨٠هـ) وفي الأخيرة أخذ تيمور خوارزم بعد حصار ثلاثة أشهر ونصف أوائل (٧٨١هـ) وخربها ثم ضمها إلى بلاده.

غزا أرض المغول وصحراء القبجاق في (٧٧٦هـ - ٧٧٩هـ):

غزا تيمور بين غزواته لخوارزم شرق ما وراء النهر وشمالها الشرقي أي كاشغر وأرض المغول وصحراء القبجاق مراراً فلما مات تغلق تيمور تسلط أحد أمرائه الأقوياء وهو قمر الدين دوغلات على الأمور واستبد بالحكم في كاشغر فأفاد تيمور من هذا وأخذ يعير من (٧٧٦هـ) حتى (٧٧٩هـ) على جنود قمر الدين وملكه كلما أمن جانب خوارزم وهزم قمر الدين بضع مرات وألجأه إلى الصحراء القبجاق. وفي (٧٨٧هـ) سيطر على صحراء القبجاء أي المنطقة بين سيحون وبحيرة خوارزم وبحر الخرز وأتاب عليها أميراً من أسرة باتو اسمه (توقتمش) وعاد إلى سمرقند.

غزوات تيمور على خراسان في (٧٨٢ - ٣) و(٧٨٤ - ٥هـ):

ولما مات الملك معز الدين كرات الذي كان على مودة دائمة وصفاء تيمور غير ابنه غياث الدين بير على سيرة ولم يحضر مجلس الشورى الذي عقده تيمور في رمضان (٧٧١هـ) بسمرقند. وفي (٧٧٨هـ) أرسل تيمور إلى غياث الدين بينما كان يغزر خوارزم ليذكره بالمودة القديمة بينه وبين ابنه، فاستقبل غياث الدين رسوله هذه المرة بترحاب واحكم تيمور أساس المودة بين الأسرتين بتزويج غياث الدين ابنة أخته.

وفي (٧٨٢هـ) اضطربت أوضاع خراسان على نحو ما رأينا في تاريخ السريداريين شديد الاضطراب وأخذ شاه شجاع وشاه منصور والأمير ولي وغياث الدين والخواجة على المؤيد في الكر والفر في هذا البلد، فاهتبل تيمور هذه الفرصة لضمه، ولما أطمأن قلبه من ناحية خوارزم نهائياً سير أول صيف (٧٨٢هـ) ابنه مير أنشأه ذا الأربع عشرة سنة بعده من كبار أمرائه إلى خراسان ولحق بهم

وبعد أن غلبوا جنود غياث الدين كرت في نيشابور توجه إلى هراة عن طريق خواف. وبدأ في منتصف ذي الحجة بحصار فوشخ (غوريان الحالية) ففتحها ثم فتح هراة أيضاً بعد حصار دام أربعة أيام وأسر غياث الدين وعفا عنه وبعد اغتنامه خزائن ملوك الكرت أتى إلى نيشابور وسبزوار. وفي هذا المكان أتى على المؤيد السبدارى خدمة تيمور وقدم الأمير ولي المستولى على جرجان في تلك الأيام إليه مطيعاً أيضاً فعاد إلى بخارى وبهذا انتهت الغزوة الأولى له لخراسان.

وبينما كان الأمير تيمور في مصيفه على حدود بخارى أتاه أتباع لعلى السربدارى وأخبروه أن الأمير ولي ورئيس التركمان فى ابورد ونسا مع قبولهم طاعته اتفقوا على مهاجمة سبزوار فنهض تيمور فى آخر شتاء (٧٨٤هـ) لعون على السربدارى إلى خراسان وغالف قلعة كلات معقل رئيس التركمان وفتحها ثم ألحق بها قلعة ترشيز التى استولى أحد عمال بنى كرت عاصياً بناءً على طلب غياث الدين الذى كان فى ركب تيمور، وفى هذا المكان وصل كتاب من شاه شجاع فحواه إيداع أولاده إليه فأجابه تيمور جواباً مطمئناً.

وارتحل تيمور من ترشيز إلى مازندارن فطلب الأمير ولي الأمان منه فعاد إلى خراسان واحتفظ بغياث الدين وأخيه وابنه من ذلك المكان حبسين أمام ناظريه فلم يسمح لهم بالعودة إلى هراة، واصطحبهم معه إلى سمرقند وأناب فى هراة عمالاً من قبله.

وفى (٧٨٥هـ) تمر أهل هراة على نواب تيمور فبعث بابنه ميرانشاة من خراسان لقتالهم وجاء بنفسه فى عقبه وأعمل التيموريون الذبح فى الهرايتين وأقاموا من جماجمهم منارات. وعند سماع تيمور بثورة أهل هراء أخذ الغضب منه مبلغاً حتى أنه أمر بقتل غياث الدين وأخيه وابنه فى سمرقند وفى خريف (٧٨٥هـ) قصد هراة وأقام يقتل فى أهلها ثانية ويصادر أموال هؤلاء المساكين وبعد أن سكن نار غضبه سلمت له سيستان وبست أيضاً حتى حدود سيستان فعاد إلى سمرقند.

الاستيلاء على مازندان واسترأباد فى (٧٨٦ - ٧٨٧هـ):

كانت مازندان حتى عام (٧٥٠هـ) فى يد طبقة من ملوك باوند من الأمراء القدامى الإيرانيين وفى هذا الوقت أردى شخص اسمه (أفراسياب التشلاوى) آخر أمير لهم قتيلاً وجعل من نفسه حاكماً له.

وفى أيام ظهور أفراسياب التشلاوى كان أحد السادات الحسينيين وهو السيد قوام الدين المرعشى (من أولاد السيد على مرعش من أحفاد الإمام على زين العابدين) موضع احترام الناس التام فى مازندان، ودخل أفراسياب هذا ضمن مريديه حلقة لعله يزيل من أذهان الناس قبيح فعله بقتل آخر ملك باوندى.

ولم يدم اتصال أفراسياب بقوام الدين لأنه بعد قليل ألقى به فى الحبس ولما أطلق سراحه زاد مريدو الشيخ عن ذى قبل. وفى النهاية هلك أفراسياب فى الحرب التى ثارت بينه وبين قوام الدين فى (٧٦٠هـ) وصار قواد الدين حاكم مازندان وأسس أسرة تسمى بالسادات العلوية القومية. وقد طوع قوام الدين بيد أولاده من عام (٧٦٠هـ) حتى (٧٨١هـ) سنة وفاته شطراً هاماً من جيلان وفيروزكوه وكلا رستاق ونور وكجور حتى هزار جريب وقزوين.

كان لقوام الدين أربعة عشر ولداً ولما مات هاجم ابنه الأكبر السيد كمال الدين وخليفته استرabad وجرجان وهما ملك الأمير ولى غلب الأخير فى (٧٨٢هـ) وهزمه إلى خراسان.

وفى الغزوة الثانية لتيemor فى خراسان زين ابن أفراسياب التشلاوى لتيemor فتح مازندان انتقاماً لدم أبيه، وكان تيemor مستاء أيضاً من الأمير ولى فرحف إلى خراسان من بلاد ما وراء النهر للقضاء عليه والسادات القومية فى (٧٨٦هـ) وأتى منها كبودجامه (فيما حول أشرف أو بشهور الحالية). وغلب تيemor الأمير ولياً فى أحرش كبودجامه - وتعقبه فى رأى. وفى ربيع (٧٨٦هـ) بلغ السلطانية لضمها وكانت لابن السلطان أحمد الجلايرى، وفى أواخر السنة استحوذ على قلعتها. وفى بدايات (٧٨٧هـ) تحرك تيemor إلى آمل وسارى فقدم كمال الدين مطيعاً إليه فأبقى مازندان لأولاده قوام الدين وعاد إلى سمرقند.

هجوم السنين الثلاث (٧٨٨ - ٧٩٠هـ):

لاذ الأمير ولى بعد هجوم جرجاى والرى بالفرار إلى أذربيجان ودخل طاعة السلطان أحمد جلاير، وبعد فترة أتى من طرفة إلى عادل آقا حاكم السلطانية يدعوه إلى طاعة السلطان الجلايرى ويغزو خراسان بعونه، لكنه لم يخرج بشيء من مهمته هذه فعاد إلى تبريز ونصب عليها من قبل الجلايرى.

وموافق هذه الأيام حمل توقتمش خان الذى أبلغه تيمور سلطنة صحراء القبجاق فيما سبق على تبريز عن طريق الدربند فاستلصها من يد الأمير ولى نهىها وعاد إلى صحرائه بعد فترة من التقتيل والنهب ومات السلطان أحمد أثناء ذلك .

وحثت هذه الأنباء الأمير تيمور إلى التحرك إلى إيران فعبر جيحون (٧٨٨هـ) وقضى ثلاثة أعوام يقاتل ويذبح وينهب فى الولايات بعد شاطئ النهر المواجه لإيران وقد سمى المؤرخون المعاصرون هذه الغزوة التى طالت ثلاث سنين بهجوم السنين الثلاث .

وقبل بلوغ تيمور خراسان استصفى عاد آقا بعون أمراء ميرانشاه ابن تيمور وجنوده همدان وألحق بها تبريز من يد أتباع أحمد جلاير وأسر (أمير ولى فى كرمود) وأهلكه فوصل تيمور إلى مازندان على عجل وبعد أن جدد طاعته كمال الدين القوامى وعلى السرابداريين قصد لصد الملك عز الدين اللورى (٧٥٠ - ٨٠٤هـ) وأصيب فى الهجوم الذى قام به على خرم آباد على المؤيد الأمراء السرابداريين وهلك .

ولما سمع تيمور بعد أن أسر عز الدين أن أحمد جلاير آت من بغداد إلى تبريز وجه ابنه ميرانشاه إليها ثم توجه هو نفسه إليها كذلك . وخلقى السلطان أحمد تبريز وكر راجعاً إلى بغداد فتملكها تيمور بلا منازع ثم ألحق بها فى ملكيته آخر صيف (٧٨٨هـ) أرمنيه واستولى على تفليس بهجمة واحدة ودعا ملكها لقبول الإسلام وجلب شروان أيضاً تحت تبعيته بإدخال أميرها طاعته .

وفى أوائل ربيع (٧٨٩هـ) أرسل توقتمش خان ثانية يجند له إلى أران وأذربيجان، فتعقبهم ميرانشاه بأمر من أبيه إلى الدربند واستأسر منهم كثيراً، وخلع تيمور عليهم جميعاً وأعادهم إلى توقتمش وذكره عن طريقهم بسوابق فضله عليه ودعاه إلى ترك الخلاف .

وبعد فتح أذربيجان والكرج وشروان أخذ تيمور مثل بايزيد العثماني بلاد أرمنية وأرزنة الروم وارزنجان أيضاً وبعث ميرانشاه يتعقب قرا محمد القراقويونلو رئيس تراكمة وان وبايزيد فهرب قرا محمد وفتح تيمور مدينة وان أيضاً بعد حصار سبعة وعشرين يوماً وعاد إلى أذربيجان .

وفى بداية هجوم السنين الثلاث راسل تيمور سلطان زين العابدين ولد شاه شجاع وخلفه يستدعيه إليه بموجب الوصية التى أودع بها شاه شجاع أولاده إليه ، فلم يأبه زين العابدين بطلبه ولم يدع مبعوث يعود ، فغضب تيمور لهذا وقدم أصفهان لتأديبه عن طريق همدان وكلبايكان . وطلب علماء أصفهان أمان تيمور وتعهدوا بأداء مال إليه .

فقبل تيمور وأرسل بعض أمرائه إلى داخل المدينة لتحصيل المال ، فأنزل هؤلاء الأمراء فى جمعهم المال أذى كثيراً بأهل أصفهان ولم يرعوا فى انتهاك حرمت أهلها .

فثار الناس وقتلوا محصلى تيمور ونوابه فى جمع المال بأسوأ حال وقامت ثورة عظيمة بالمدينة . وهاجم تيمور أصفهان وقت الغروب وظل يقاتل أهلها حتى صباح اليوم التالى فلما أدخل أصدر أمره بذبح أهلها وأمر فجمع له سبعون ألف جمجمة فأقام منها هذا السفاك منارات من الجماجم بحيث أقيمت فى نصف قلعة أصفهان ثمان وعشرون منارة من ألف وخمسمائة رأس وفى النصف الآخر أقل قليلاً خلاف المنارات خارج القلعة .

وبعد واقعة أصفهان الأليمة عزم الأمير السفاك الكوركانى إلى شيراز وهرب زين العابدين المظفرى كما مر منها فزعاً واعتصم بشوستر لدى شاه منصور فحبسه بها . وفى أواخر (٧٨٩هـ) دخل تيمور شيراز بلائى ، ولما وصلت مسامعه أخبار عصيان توقتمش خان فى هذا الوقت قام بتقسيم البلاد المضفرية بين شاه يحيى وعماد الدين أحمد أبى إسحاق حفيد شاه شجاع وعجل إلى سمرقند .

الصراع بين تيمور وتوقتمش (٧٩٠هـ) :

فى أيام هجوم السنين الثلاث قصد قمر الدين دوغلات إلى توقتمش ليتقمم لهزائمه السابقة فأوعز إليه أن يجعل بلاد تيمور من الناحيتين موضع هجومها .

وهاجم قمر الدين من ناحية فرغانة وتوقتمش من جهة بخارى بلاد ما وراء النهر فى (٧٩٠هـ) وثار أهل خوارزم بتحريض توقتمش على أتباع تيمور . أما قمر الدين فقد لقى الهزيمة من عمر شيخ ولد تيمور ولما سمع برجوع تيمور هرب إلى صحراء القبجان فبلغ تيمور خوارزم وقام بتخريب هذه المدينة إلى حد أنه لم يكن

فيها حائط يستراح تحت ظله وزرعوا الشعير فوق أطلالها ولم يسكنها واحد إلى عام (٧٩٠هـ) مات سيور غتمش خان الذي اختاره تيمور في (٧٧١هـ) على سلطنة ما وراء النهر وجعل الأمير الكوركاني محمود خان ولد سيور غتمش حاكماً بعد أبيه مراعاة فيما يبدو لحقوق أولاد جغتاي.

وفي شتاء (٧٩١هـ) هاجم خان مرة أخرى ما وراء النهر لكنه هزم أيضاً من عمر شيخ وتعبه تيمور حتى أرض المغول وصحراء القبجان وعاد إلى سمرقند بعد غزو وقتال فيهما وتحرك في منتصف صفر (٧٩٣هـ) إلى صحراء القبجاق بعد الاستعداد لهجوم قاطع وفي الخامس عشر من رجب لنفس العام أنزل على شاطئ اتل (الفولجا) الأيسر بتوقتمش هزيمة فادحة وعاد إلى عاصمته بغنائم وأسرى كثيرين.

هجوم السنين الخمس (٧٩٤ - ٧٩٨هـ): ولما عاد تيمور من صحراء القبجاق أناب ابنه ميرانشاه في حكم خراسان وحفيده «بیرمحمد» في حكم غزن نوکابل، وبعد خلاصه من مرض شديد أصابه قصد إيران في رمضان (٧٩٤هـ) لإخماد الثورات التي شبت بها وظل يقاتل فيها خمسة أعوام وتسمى حروبه هذه بهجوم السنين الخمس. وأتى تيمور أولاً إلى جارجان ومازندان وكان السيد كمال الدين القوامي قد أثر العصيان فغلب تيمور جنده وأرسل بالسيد في سفينة إلى خوارزم وبعد قضاء الشتاء بمازندان اتجه في صفر (٧٩٥هـ) إلى شوشتر عن طريق الري والسلطانية وكرهورد (سلطان أباد العراق) وفرشاه منصور المظفرى من أمامه وكان استقبال بشوشتر في ذلك الوقت صوب شیراز فذهب تيمور في أثره إليها.

وأورد تيمور كما مر بنا في تاريخ شاه منصور بالأمير الشجاع المظفرى في حرب ضروس قرب شیراز مورد الهلاك وأدرك أسرة آل المظفر وترك فارس إلى عمر شيخ وعاد إلى أصفهان. وبعد عدة أيام من إقامته بها توجه إلى أذربيجان وعراق العرب لمقاتلة السلطان أحمد جلاير وقرقويونلو.

وتمكن تيمور من قرا محمد والاق قويونلوية فهزم بشدة وفي شوال (٧٩٥هـ) تحرك تجاه بغداد.

وأخلى السلطان بغداد ولم يكن يطيق مقاومة تيمور وهرب إلى الشام ويم

تيمور إلى فتح قلعة تكرت التي صارت وقتها عش فساد لعابري السبيل والقوافل ففتحا بعد لأى شديد وجعل من رؤوس المدافعين عنها منارات، وبعد أن أدخل طاعته واسطا والبصرة سلط طريق الجزيرة. وفى هذا السفر أصاب سهم قاتل فى ربيع الأول (٧٩٦هـ) عمر الشيخ أثناء قدومه لملاقاة أبيه على بعد أربعة منازل من بغداد من سهام أهل هذا المكان، فأرسل تيمور بابنه بير محمد خلفاً لأبيه إلى حكومة فارس.

وغفى هذا السفر الذى بدأ فى ربيع الثانى (٧٩٧هـ) أنزل على ضفاف نهر (ترك) فى شمال القفقازنة بتوقتمش هزيمة ثانية وترك فى عقبه ولايتى الشركس والقزاق ودخل روسيا واستولى أيضاً على مدينة (موسكو) وبعد إغارته عليها رجع إلى آذربيجان. ثم عمل على إخماد الفتن التى شبت فى غيابه فى نهاوند وسيرجان ويزد وآذربيجان إلى ميران شلاه وقصد إلى سمرقند فى شوال (٧٩٨هـ) وحول فى السنة التالية حكم خراسان وهراة كذلك إلى شاهرخ ابنة الثانى.

فتح الهند فى (٨٠١هـ)؛

عاد تيمور من هجوم السنين الخمس وكان أول ما فكر فيه بعد ذلك أن يزول الخطأ والفتن أى ما وراء كاشغر والصين الأصلية، لكن لا يعرف لماذا قدم على هذا الغزو فتح الهند فى هذا الآن، ووصل إلى كابل بنية جهاد ذلك البلد فى غرة ذى الحجة (٨٠٠هـ) وبعد قتال مع الأفغانيين فى جبال سليمان عبر وادى خيبر ثم عبر السند أوائل (٨٠١هـ).

وكان حكم السند والبنجاب فى هذا الحين للسلطان محمود الثانى من ملوك التغليقيين أو أسرة أبناء محمد تغلق وكان مقره مدينة دلهى.

لما عبر تيمور نهر السند بدأ بحصار قلعة (بطنيرؤ) من قلاع البنجاب الهامة وبعد ستة أيام اجتاحتها فى السابع والعشرين من صفر وقتل نحو عشرة آلاف من الهنود ثم اتخذ سبيله إلى دلهى.

وتواجه جيش تيمور والسلطان محمود فى السابع من ربيع الثانى (٨٠١هـ) فى (بانى بت) على مقربة من دلهى، فى هذه المعركة التى كان النصر الكلى فيها لتيمور قتل نحو مائة ألف من أهل الهند بيد جنوده وهرب السلطان محمود إلى

دلهى ودخلها تيمور فى العاشر من ذلك الشهر وأخذ جنوده ينهبون المدينة ومكثوا بها خمسة عشرة يوماً. وحين بلغ تيمور أنباء ثورات نشبت بإيران عجل يترك دلهى فقسم بلاد آل تغلق بين قواده جيشه وعاد إلى سمرقند عن طريق أفغانستان.

هجوم السنوات السبع (٨٠٢ - ٨٠٨هـ):

حينما انقلب تيمور إلى سمرقند أنبئ أن ابنه سقط من على جواده فأصيب بارتجاج شديد فى مخه فصار يصدر عنه أمور شاذة ولهذا سلك الرعايا المغلوبون فى الكرج وأذربيجان والعراق طريق العصيان، فتأهب تيمور بحملة جديدة على إيران وبلادها الغربية وزحف إليها. وغزواته هذه التى تسمى بهجوم السبع سنوات هى آخر حروب له.

وكانت الخطوة الأولى فى هجوم الأعوام السبعة وصوله إلى تبريز وبعد تنبيه وبعد تنبيه حاشية ميرانشاه وندمائته وتنظيم أوضاعها قصد الكرج لقتال أهلها الذين استفادوا من الظروف التى جهدت فهاجموا أذربيجان. وبعد أن أوقف الكرجيين على حدودهم وهاجم بلادهم أخبر من أذربيجان أن السلطان العثمانى (بايزيد خان الأول) (٧٩٢ - ٨٠٨هـ) طلب من والى هذه البلاد المال والخراج. وتبادل الجانبان مراسلات يهدد فيها كل منهما الآخر وانتهت بتقديم تيمور أوائل المحرم (٨٠٣هـ) إلى سيواس من بلاد الروم، وبعد حصار عشرة أيام عصف بها واستولى على مدينة ملطية والسواحل الجنوبية للبحر الأسود أيضاً وترك هذه البلاد لجد التركمان الاق قويونلو عثمان البائندرى وعرج على الشام.

فى (٧٩٥هـ) أثناء هجوم السنوات الخمس حينما كان تيمور فى إيران وجه سفيراً من لدنه إلى سلطان مصر الملك الظاهر برقوق من المماليك البرجية يظهر له مودته، فاردى الملك الظاهر مبعوث تيمور قتيلاً واستأثر حارس أحد قلاع أرمينية عن عريق قرا يوسف بن قرا محمد وأتى به إلى مصر وألقاه بالسجن.

فلما فتح تيمور ملطية أرسل آل يولد وخلف الملك الظاهر الملك الناصر فرج (٨٠١ - ٨٠٨هـ) رسلاً يطلبون إطلاق سراح قائد القلعة المحبوس، فلم يبال الملك الناصر بدعوة تيمور كما فعل أبوه من قبل بل وأودع رسله السجن، فلما بلغ تيمور هذا الخبر ركب الغضب حتى أنه عد الحملة على الشام ومصر أهم من تعقب

السلطان العثماني، فتقدم من الجزيرة إلى حلب مباشرة وفي التاسع من ربيع الأول (٨٠٣هـ) بلق قمة هذه المدينة وفتحها في الحادى عشر منه وأغار على المدينة ونهبها وسلط طريق دمشق بعد مكث خمسة عشر يوماً.

وكانت دمشق إذ ذاك مركز معسكر الملك الناصر وبلغ هذا السلطان بجيش كثيف من مصر دمشق بطلب أهل الشام. ولم يكن بالنلد للأمير تيمور فبعد حرب قصيرة هرب من الشام آل يمصر فسلم أهل دمشق لتيمور خوفاً من الذبح، فأمنهم تيمور وبعد قليل أمر بنهب دمشق مركز النفائس وسوق الثروة والأمتعة القيمة متذرعاً بأسباب غير وجيهة فقامت فيها فتنة عظمس أصاب فى نتيجتها هذه المدينة الجميلة وأهلها ضربات شديدة.

وبعد فتح الشام عاد تيمور إلى العراق ليقطلع جذور فساد السلطان أحمد جلاير الذى لم يغلب إليه تماماً وكان دائم الظلم والجور لرعاياه وليضم عاصمته بغداد إلى بلاده.

فى أيام انشغال تيمور فى الهند وغزواته فى بلاد الكرخ وسيواس والشام وفق أحمد جلاير بمؤازرة قرا يوسف التركمانى فى أن يستعيد الجزيرة وبغداد لكنه كان كثير الظلم فطرده رعاياه عن بغداد فارتحل السلطان أحمد إلى الموصل وعاش بها مع قر يوسف نحن حماية السلطان العثمانى بايزيدخان.

هاجم تيمور بغداد مع مقاومة واليها الشديدة فى السابع والعشرين من ذى القعدة (٨٠٣هـ) وأمر انتقاماً لقتل بضعة نفر من قواده كانوا قد قتلوا أثناء حصارها بأعمال الذبح فيها إذ جعل كل جندى فى جيشه البالغ عشرين ألفاً يضرب عنق بغدادى ويعطيها إليه ففعلوا كما أمر وفى هذه الواقعة خرب كثير من الأبنية والمدارس والمساجد ببغداد.

ولما فرغ تيمور من فتح بغداد وسائر بلاد العراق شد رحاله إلى قرا باغ لتمضية الشتاء بها وهناك هيا أمورہ للحملة على بلاد الروم وقتال بايزيدخان.

حرب أنكورية فى التاسع عشر من ذى الحجة (٨٠٤هـ):

بعد أن أعاد تيمور من العراق هاجم قرا يوسف التركمانى بغداد لكنه هزم من أبى بكر حفيد تيمور ووالى العراق فلاذ بالسلطان بايزيدخان وحرص السلطان على إيذاء الأمراء الأناضوليين الذين رضوا بحماية تيمور وتبعيتهم له. ولم يلق

السلطان بايزيدا فكراً لتقوية جيشه ولا بالا لمنع تيمور لإغتراره بفتوحاته السابقة فى الأناضول مع هزيمته فى سيواس والفرصة التى لاحت له عندما كان تيمور منشغلاً بحروب الشام والعراق، وكان منهمكاً فى الصيد والقنص حتى قبل المعركة بثلاثة أيام ولما انتوى الإسراع لصدد تيمور هلك من جنوده نحو خمسة آلاف عطشاً نتيجة ما دبره تيمور إذ قطع عليهم طريق الماء.

وشبت الحرب فى التاسع من ذى الحجة (٨٠٤هـ) جنوب غربى مدينة أنكورية أو أنقرة (عاصمة تركيا الحالية) ودامت من الصباح حتى المساء فى حرارة الصيف، وأجبر السلطان بايزيد على الفرار مع استبساله فى المقاومة بسبب القىظ وهلاك جميع جيشه لكنه وقع فى الأسر فتلقاته تيمور بالاحترام واحتفظ به وظل السلطان فى جيش تيمور إلى أن وافاه أجله فى شعبان (٨٠٥هـ).

وبعد فتح الولايات الأناضول وصل تيمور حتى أزمير وشاطئ البحر المتوسط وهناك أتاه مبعوث الملك الناصر فرج الذى حل به الفرع لفتوحات تيمور وأظهر له تبعية ملكه للأمير صاحب العراق وقبل الملك الناصر من هذا الوقت أن يخطب لتيمور ويسك عملته باسمه.

وعاد الأمير تيمور بعد هذه الانتصارات إلى قرا باغ وبعد تمضية الشتاء فيها توجه إلى مازندران فحطم ثوارها وفى المحرم من (٨٠٧هـ) بعد سبعة أعوام عاد أدراجه إلى سمرقند.

وفى (٨٠٥هـ) أى فى الهجوم على بلاد الروم مات السلطان محمود خان بن سيور غتمش آخر بقية الحكام الجغتائيين والذى رفعه تيمور قبل ذلك إلى السلطة وكان يجالده بسيفه - أى تيمور - باسمه فى الظاهر أو قتل فى رواية أخرى بأمر تيمور. ولم يختار تيمور خاناً فى محله وأمر أن تجرى الخطبة والسكة باسمه، ومن هذا الأوان أصاب تيمور فى الحقيقة مقام السلطنة.

موت تيمور فى السابع عشر من شعبان (٨٠٧هـ):

ولما عاد تيمور إلى سمرقند زوج بضعة نفر من أحفاده واحتفل سروراً بهذا الأمر وبالفتوحات التى صارت من نصيبه احتفالات طويلة وتأهب لمهاجمة الصين والتى كان فكرة فتحها تراوده قبل غزوة الهند.

وبعد إعداد مائتي ألف شخص ومثلهم فرسان زحف تيمور ومعه بضعة من قواده وأحفاده فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى (٨٠٧هـ) صوب شاطئ سيحون. واتفق إن كان الشتاء فى ذلك العام شديد البرودة حين قام تيمور بقليل من مرض ألم به، فأصيب بالبرد فى (أترا) (فاراب القديمة) على شاطئ سيحون ولما كان إفراط فى شراب العراق سقط مريضاً فى حالة خطيرة وهناك حل به المنون فى السابع عشر من شعبان (٨٠٧هـ) فى سن الحادية والسبعين ودفن بها.

مع أن الأمير تيمور أحد أعظم الفاتحين والغزاة ومن القواد المحنكين المتدبرين وليس فى هذا ريب إلا أنه يقل نظيره فى القسوة والعنف والفظاظة والدهاء. ولا تصح مقارنته بجنكيز لأن جنكيز كما نعلم فصلاً عن جمعه الصفات اللازمة لتملك البلاد وفتحها يمتاز بصفتين الأمير تيمور خلو تماماً منهما الأولى صفة إدارة البلاد المفتوحة ورعاية العدالة والقانون والنظام والترتيب والثانية خلوه من التعصب الدينى وحياده فى مسألة الأديان والمذاهب عند الرعايا المهزومين فى حين أن أعذار تيمور فى غزوة الهند ونهب دمشق كانت أعذار دينية وكان يفرق فى تذيبحه للمهزومين بين المسلم والمسيحى.

وبعث هاتان الصفتان الموجودتان فى جنكيز والمنعومتان فى تيمور على أن تدوم دولة الأول خلاف دولة الثانى فترات بعد موت مؤسسها وأن يحفظ بلاد جنكيز البلاد الواسعة التى فتحها وامتدت من المحيط الهادى حتى البحر المتوسط فى كمال انتظام ونظام وترتيب تحت أمرهم نحو قرن فى حين أن دولة تيمور كانت كدولة نادر الأفشارى واحد من بعد تيمور ممن خلفوه أن يحافظ على هذه البلاد تحت نظام وإدارة سليمين.

قل اتساع البلاد التيمورية عن الجنكيزية بقليل لأنه إذا كان تيمور قد زاد عن بلاد جنكيز ضمه لبلاد الهند وجزءاً من روسية لكنه لعدم تمكنه من فتح الصين لم يصل اتساع ملكه إلى درجة وسعة البلاد الجنكيزية.

ولم يدع استبداد تيمور بالأمر وعدم اعتناؤه بالأمر العادى لبلاده أن يبرز فى عهده وزراء عظام كأيام السلاجقة والایلخانات. أما من شغلوا فى أيام تيمور الوزارة والأعمال الديوانية الأخرى فقد كانوا مجهولين عد أغلبهم منشئين خاصين

بهذا الأمير ولم يشاهد منهم أى نوع من الكفاءة فى إدارة البلاد وقد أهلك أغلبهم
تيمور نتيجة لأقل خلاف كان يصدر منهم.
